[كِتَابُ الوَصَايَا][1]

(الأَمْرُ بالوَصِيَّةِ)

الوَصِيَّةُ ـ فِي اللُّغَةِ ـ: عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ يُلْقِيْهِ أَحَدُهُمَا إِلَىٰ الآخَرِ لِيَعْمَلَ بِهِ، وَهُوَ مَخْصُوْصٌ فِي الغَائِبِ وَالمَيِّتِ، مِنْ جُمْلَةِ مَا يُلْقَىٰ منْ قَوْلٍ.

ـ وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَهُ شَيْءٌ يُوْصَىٰ فِيْهِ» [١]. كَذَا الرِّوَايَةُ[2]، وَأَكْثَرُ مَا تَقُوْلُ العَرَبُ: أَوْصَىٰ بِكَذَا، فَيُعَدُّوْنَ هَـٰذَا الفِعْل بالبَاءِ، كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ[3]:

---

(١) المُوَطَّأ رواية يَحْيَىٰ (٢/ ٧٦١)، وَرواية أَبي مُصْعَبٍ الزُّهْرِيِّ (٢/ ٥٠٥)، وَرواية محمد بنل احَسَن (٢٥٨)، وَرواية سُويد الحدثاني (٢٤٥)، وَتفسير غريب المُوَطَّأ لابن حبيب (٢/ ٥٢)، وَالاستذكار (٢٣/ ٥)، وَالتَّمهيد (١٣/ ٢٣١)، وَالمُنْتَقَىٰ لأَبي الوليد البَاجيِّ (٦/ ١٤٥)، وَالتَّعْلِيْقُ عَلَىٰ المُوَطَّأ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣١)، وَالقَبَس لابنِ العَرَبِيِّ (٩٤٩)، وَتنوير الحوالك (٢/ ٢٢٨)، وَشرح الزُّرْقَانِيِّ (٤/ ٥٨).

(٢) النَّصُّ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣١). وَلم يُنْشِدْ قَوْلَ الرَّاجِزِ.

(٣) هوَ سُحَيْمُ بنُ وُثَيْلٍ اليَرْبُوْعِيُّ كَمَا في اللِّسان (نَجا) وَأَنْشَدَ قَبْلَهُ:

إِنِّي إِذَا مَا القَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهْ
واضْطَرَبَ القَوْمُ اضْطِرابَ الأَرْشِيَهْ
هُنَاكَ أَوْصِيْنِي وَلاَ تُوْصِي بِيَهْ

وهي في جَمْهَرَةِ ابنُ دُرَيْدٍ (٢٣٥، ٨٠٩) وَلم ينسبها وَزادَ قبل الأَخير:

وَشُدَّ فَوْقَ بَعْضِهِمْ بِالأَرْوِيَهْ

وهي في حَمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ «رواية الجواليقي» (١٨٥)، وَلم يَنْسِبْهَا أَيْضًا. وَيُراجع شرحها للتِّبْريزي (٢/ ٢٠٢)، وَشرحُها للمَرْزُوقِي (٢/ ٦٥٦)، وَالمغني لابن هشام (٥٨٥)، وَشرح أَبياته للبغدادي (٧/ ٢٣١).

* هُنَاكَ أَوْصِينِي وَلاَ تُوْصِيْ بِيَهْ *

وَمَنْ قَالَ: «يَبِيْتُ فِي كَذَا» فَلَهُ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُوْنَ مَعْنَاهُ: أَوْقَعْتَ الوَصِيَّةَ فِيْهِ، فَيَكُوْنُ «فِي» عَلَىٰ وَجْهِهَا.

وَالآخَرُ: أَنْ يَكُوْنَ بَدَلاً مِنَ البَاءِ، كَمَا يُقَالُ: بِتِلِمْسَان، وَفِي تِلِمْسَان، وَكَذٰلِكَ اتَّفَقَتِ الرِّوَايَاتُ فِي هَـٰذَا الحَدِيْثِ عَلَىٰ إِسْقَاطِ «أَنْ» وَرَفْعُ «يَبِيْتُ» وَكَانَ الوَجْهُ أَنْ يَبِيْتَ وَلَـٰكِنَّ العَرَبَ[1] قَدْ تَحْذِفُ «أَنْ» مِنْ مِثْلِ هَـٰذَا، وَتَرْفَعُ الفِعْلَ، وَعَلَيْهِ تُؤَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ[2]: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾، وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُ طَرَفَةَ[3]:

* أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي اَحْضُرُ الوَغَىٰ * البَيْت

وَرُبَّمَا حَذَفُوا وَتَرَكُوا الفِعْلَ مَنْصُوْبًا، وَذٰلِكَ [لاَ يَكُوْنُ] إِلاَّ فِي ضَرُوْرَةِ الشِّعْرِ، كَقَوْلِهِ[4]:

* وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا كِدْتُ أَفْعَلَهْ *

فَفِي هَـٰذَا البَيْتِ وَجْهَانِ مِنَ الشُّذُوْذِ وَالضَّرُوْرَةِ.

---

(١) النَّصُّ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣١).

(٢) سورة الزُّمر، الآية: ٦٤.

(٣) ديوانه (٣١) تقدَّم ذكره.

(٤) لم يُنشده الوَقَّشِيُّ في هَـٰذَا المَوْضِعِ وَهو لعَامِرِ بنِ جُؤَيْنٍ الطَّائِيِّ، وَصَدْرُهُ:

* فَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا خَبَاسَةَ وَاحِدٍ *

والبيتُ في شعر طيِّىء وأخبارها (٤٢٩)، وهو في كتاب سيبويه (١/ ٣٠٧)، وخزانة الأدب (٤/ ٤٠١)، وفي جمهرة اللُّغة لابن دُرَيْدٍ (١/ ٢٣٤) أنها لغة طيِّىء.

أَحَدُهُمَا: إِدْخَالُ «أَنْ» فِي خَبَرِ «كَادَ». **وَالثَّانِي**: حَذْفُهَا وَإِبْقَاءُ عَمَلِهَا.

ـ وَ«**العَتَاقَةُ**» مَفْتُوْحَةُ العَيْنِ، وَكَسْرُهَا خَطَأٌ.

(جَوَازُ وَصِيَّةِ الصَّغِيْرِ وَالضَّعِيْفِ وَالمُصَابِ وَالسَّفِيْهِ)

ـ «**اليَفَاعُ**» [٢]: هُوَ الغُلَامُ ابنُ عَشْرِ سِنِيْن، أَوِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، رَوَاهُ عِيْسَىٰ عَنِ ابنِ القَاسِمِ، عَنْ مَالِكٍ. وَفِي «العَيْنِ»[1]: اليَفَاعُ: المُشْرِفُ مِنَ الأَرْضِ، وَغُلَامٌ يَفَعَةٌ وَيَافِعٌ: إِذَا شَبَّ، وَجَمْعُهُ: الأَيْفَاعُ، وَقَدْ أَيْفَعَ، أَيْ: شَبَّ.

قَالَ الشَّيْخُ ـ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ـ: وَكَأَنَّ الغُلَامَ اليَفَاعَ أَشْرَفَ عَلَىٰ الاحْتِلَامِ. يُقَالُ: أَيْفَعَ وَهُوَ يَافِعٌ، وَلاَ يُقَالُ: مُوْفِعٌ، وَيُقَالُ: الغُلَامُ الأَيْفَعُ، وَيُجْمَعُ عَلَىٰ أَيْفَاعٍ، الوَاحِد يَفَعٌ، وَيَفَعَةٌ جَمْعٌ عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ، فَمَنْ قَالَ: يَافِعٌ ثَنَّىٰ وَجَمَعَ، وَمَنْ قَالَ: يَفَعَةٌ الوَاحِدُ وَالاثْنَانِ وَالجَمَاعَةُ سَوَاءٌ.

(القَضَاءُ فِي الوَصِيَّةِ فِي الثُّلُثِ لاَ يُتَعَدَّىٰ)

ـ فِي رِوَايَةِ يَحْيَىٰ: «**وَالثُّلُثُ كَثِيْرٌ**» [٤]. وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ: «**كَبِيْرٌ**» بِالبَاءِ، وَكِلاَهُمَا جَائِزٌ.

ـ **وَقَوْلُهُ**: «**فَالشَّطْرُ**» الرِّوَايَةُ بِالرَّفْعِ[2]، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مُضْمَرٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَالشَّطْرِ أَتَصَدَّقُ بِهِ، وَكَذٰلِكَ «الثُّلُثُ» وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُوْنَ خَبَرَ المُبْتَدَأِ مُضْمَرًا؛ لِدُخُوْلِ الفَاءِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ جَائِزٌ، فَيَكُوْنُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ القَائِلِ: أَزَيْدٌ قَائِمٌ؟

---

(١) العين (٢/ ٢٦١)، ومختصره (١/ ١١٩).

(٢) النَّصُّ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣٢).

فَيَقُوْلُ المُجِيْبُ: لاَ، فَيَقُوْلُ: فَقَاعِدٌ؛ أَيْ: فَهُوَ قَاعِدٌ، وَلَوْ نَصَبَ نَاصِبٌ «الشَّطْرَ» وَ«الثُّلُثَ» عَلَىٰ مَعْنَىٰ فَأُعْطِيَ الشَّطْرَ وَأُعْطِيَ الثُّلُثَ لَكَانَ جَائِزًا.

ـ **وَقَوْلُهُ: «أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ»** «أَنْ» مَفْتُوْحَةُ الهَمْزَةِ، وَ«تَذَرَ» مَنْصُوْبٌ بِهَا، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ وَ«خَيْرٌ» خَبَرُهُ، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ[1]: ﴿**وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾. وَ«**العَالَةُ**»: الفُقَرَاءُ[2]، وَاحِدُهُمْ: عَائِلٌ، كَمَا تَقُوْلُ: بَائِعٌ وَبَاعَةٌ، وَصَائِغٌ وَصَاغَةٌ، وَفِعْلُهُ عَالَ يَعِيْلُ، فَإِذَا أَرَدْتَ الجَوْرَ قُلْتَ: عَالَ يَعُوْلُ، وَإِذَا أَرَدْتَ كَثْرَةَ العِيَالِ قُلْتَ: أَعَالَ يُعِيْلُ، فَمِنَ الجَوْرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:[3] ﴿**ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣**﴾ وَمِنَ الفَقْرِ قَوْلُ الشَّاعِرِ[4]:

وَمَا يَدْرِيْ الفَقِيْرُ مَتَىٰ غِنَاهُ ... وَمَا/ يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيْلُ؟ ١/٨١أ

ـ وَمَعْنَىٰ «**يَتَكَفَّفُوْنَ**»: يَسْأَلُوْنَ النَّاسَ بِأَكُفِّهِمْ.

ـ **وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنَّكَ إِنْ تُخْلَفَ»** فَإِنَّ الفُقَهَاءَ[5] يَرْوُوْنَهُ «أَنْ» وَيَتَوَهَّمُوْنَهَا «أَنْ» النَّاصِبَةَ لِلأَفْعَالِ، وَلاَ وَجْهَ لـ«أَنْ» هَـٰذِهِ فِي هَـٰذَا المَوْضِعِ. وَقَوْلُهُ: «**إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً**» يُبْطِلُ ذٰلِكَ؛ لأَنَّ «إِلاَّ» الَّتِي لِلإِيْجَابِ لاَ يَجُوْزُ دُخُوْلُهَا إِلاَّ بَعْدَ كَلاَمٍ مَنْفِيٍّ. وَالصَّوَابُ «لَنْ» باللاَّمِ، وَكَذٰلِكَ رَوَاهُ ابنُ وَضَّاحٍ، وَلاَ يَصِحُّ دُخُوْلُ «إِنْ» فِي هَـٰذَا المَوْضِعِ إِلاَّ عَلَىٰ حِيْلَةٍ؛ وَذٰلِكَ أَنْ تَكْسِرَ هَمْزَتَهَا وَتَجْعَلَهَا بِمَعْنَىٰ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٢) النَّصُّ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣٣). وَلم يُنشِدِ البَيْتَ.

(٣) سورة النِّساء، الآية: ٣.

(٤) البيتُ لأُحَيْحَةَ بنِ الجُلاَحِ الأَوْسِيِّ في ديوانه (٧٤).

(٥) النَّصُّ في التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣٣) بلفظه.

«مَا» النَّافِيَةِ؛ لِإِثْبَاتِ الإِيْجَابِ بَعْدَهَا، وَتَرْفَعَ «تُخْلَفُ» وَ«تَعْمَلُ» كَأَنَّهُ قَالَ: مَا تُخْلَفُ، فَتَعْمَلُ إِلاَّ ازْدَدْتَ، كَمَا تَقُوْلُ: إِنْ زَيْدٌ إِلاَّ قَائِمٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ[1]: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾.

ـ وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلفَ». فالوَجْهُ[2] إِسْقَاطُ «أَنْ» وَرَفْعُ الفِعْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ[3]: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾، وَلَـٰكِنَّ الفُقَهَاءَ رَوَوْهُ بِزِيَادَةِ «أَنْ» وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنَ الآخَرِ». وأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ هَـٰذَا فِي الشِّعْرِ، وَمَجَازُهُ عِنْدَ النَّحْوِيِّيْنَ عَلَىٰ تَشْبِيْهِ «لَعَلَّ» بـ«عَسَىٰ»؛ لأَنَّهَا مِثْلُهَا فِي الطَّمَعِ، وَحُكْمُ «عَسَىٰ» أَنْ يُسْتَعْمَلَ بـ«أَنْ» كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ[4]: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ يَحْذِفُوْنَ «أَنْ» مِنْ خَبَرِ «عَسَىٰ» تَشْبِيْهًا لَهَا بـ«لَعَلَّ» وَيَزِيْدُوْنَهَا فِي خَبَرِ «لَعَلَّ» تَشْبِيْهًا لَهَا بـ«عَسَىٰ» فَالشَّاهِدُ[5] عَلَىٰ إِسْقَاطِهَا مِنْ خَبَرِ «عَسَىٰ» قَوْلُ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَمٍ[6]:

---

(١) سُوْرَةُ المُلْكِ.

(٢) النَّصُّ في التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣٤).

(٣) سُوْرَةَ الطَّلَاقِ.

(٤) سُوْرَةَ المَائِدَة، الآية: ٥٢.

(٥) من هُنَا لم يَرِدْ في «التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ».

(٦) هُوَ هُدْبَةُ بنُ الخَشْرَمِ بن كُرْزٍ، أَحدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِالله بنِ الحَارِثِ بنِ سَعْدٍ، من بَنِي عُذْرة، شاعرٌ إِسْلَامِيٌّ، من أَهْلِ الحِجَازِ، كان على خِلَافٍ مع قريبه زيادة بن زيد العُذري، أَدَّىٰ إِلى أَنْ قَتَلَ زيادةَ، فَسَجَنَهُ وَالي المَدِيْنَةِ سَعِيْدُ بنُ العَاصِ حَتَّىٰ أَرْشَدَ أَبْنَاءُ زِيادةَ، فَسَلَّمَهُ لَهُم فَقَتَلُوْه. وَمن أَجْوَدِ شِعْرِهِ مَا قَالَهُ في سِجْنِهِ، وَمِنْهُ القَصِيْدَة الَّتي مِنْهَا الشَّاهد. جَمَعَ شِعْرَهُ الدُّكتور يَحْيَىٰ الجُبوري، وَطبع في دمشق (١٩٧٦م). أَخْبَارُهُ في: الشِّعر وَالشُّعراء =

عَسَىٰ الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيْهِ يَكُـوْنُ وَرَاءَهُ فَـرَجٌ قَـرِيْـبُ

والشَّاهِدُ عَلَىٰ زِيَادَتِهَا فِي خَبَرِ «لَعَلَّ» قَوْلُ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ[1]:

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِيْ يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا

ـ وَ«**الهِجْرَةُ**» ـ في كَلَامِ العَرَبِ ـ: هَيْئَةُ الهِجْرَانِ[2]، كَمَا أَنَّ الجِلْسَةَ هَيْئَةُ الجُلُوْسِ، وَالرِّكْبَةَ: هَيْئَةُ الرُّكُوْبِ، فَإِذَا أَرَدْتَ المَصْدَرَ الَّذِي لَيْسَ بِهَيْئَةٍ قُلْتَ: هِجْرَةٌ وَهِجْرَانٌ، وَإِذَا أَرَدْتَ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ قُلْتَ: هَجْرَةً ـ بِفَتْحِ الهَاءِ ـ كَمَا تَقُوْلُ: ضَرْبَةٌ وَقَتْلَةٌ لِلْمَرَّةِ الوَاحِدَةِ مِنَ الضَّرْبِ وَالقَتْلِ، فَإِذَا جَعَلْتَهَا فِعْلًا مِنَ اثْنَيْنِ فَمَا زَادَ قُلْتَ: هَاجَرَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ مُهَاجَرَةً. وَأَمَّا «**الهِجْرَةُ**» المُسْتَعْمَلَةُ فِي الشَّرِيْعَةِ فَهِيَ مَكْسُوْرَةُ الهَاءِ، لَا يَجُوْزُ فِيْهَا غَيْرُ ذٰلِكَ؛ لِأَنَّ المُهَاجِرَ كَانَ يُرَادُ بِهِ أَنْ يَهْجُرَ وَطَنَهُ وَقَوْمَهُ، وَيَنْفِرَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَالفِعْلُ إِذَا اسْتَمَرَّ وَدَامَ صَارَ خُلُقًا وَهَيْئَةً، فَلِذٰلِكَ لَمْ يَجُزْ فِيْهَا فَتْحُ الهَاءِ. وَسُمِّيَتْ «هِجْرَةً»؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَهْجُرُ أَهْلَهُ وَوَطَنَهُ، وَيَلْحَقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ. وَسُمِّيَتْ

= (٤٣٤)، وَمعجم الشُّعراء (٤٦٠)، وَالْلآلي (٣٤٩)، وَخزانة الأدب (٤/ ٨٤)، وَالبيتُ في شعره (٥٤). وهُوَ مَشْهُورٌ جِدًّا في كُتب النَّحْو واللُّغة.

(١) هو مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ بنِ جَمرَةَ بنِ شَدَّادٍ، من بني يَرْبُوع بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ مَنَاة بنِ تَمِيْمٍ. شاعرٌ مُخضرم، أَدرك الجاهلية وَالإسلام، وَأَسلم وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ أَعْوَرَ، وَقُتِلَ أَخوه مَالِكٌ عَلَىٰ الرِّدَّة، وَله فيه مَرَاثٍ منها القَصيدةُ العَيْنِيَّةُ الَّتي منها الشَّاهد، وَهي من أَجود المَرَاثِي، جمعت شعره وَشعر أَخيه مالك: ابتسام مرهون الصَّفَّا وَنشر في بغداد سنة (١٩٦٨م). أَخبارُهُ في: المؤتلف وَالمختلف (٢٩٧)، وَالشِّعر وَالشُّعراء (٣٣٧)، وَالأَغاني (١٥/ ٢٩٨)، وَمعجم الشُّعراء (٤٣٢)، وَخزانة الأدب (١/ ٢٣٦)، وَالبَيْتُ في شعره (١١٩).

(٢) النَّصُّ في التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لِأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣٦).

«مُهاجَرَةً»؛ لأَنَّ الرَّجُلَ المُؤْمِنَ كَانَ يَهْجُرُهُ قَوْمُهُ، كَمَا يَهْجُرُهُمْ هُوَ، فَجَاءَتْ عَلَىٰ مِثَالِ المُفَاعَلَةِ الَّتِي تَكُوْنُ من اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، وَلِهـٰذَا المَعْنَىٰ سُمِّيَتْ مُرَاغَمَةً؛ لأَنَّ المُؤْمِنَ كَانَ يُرَاغِمُ قَوْمَهُ بِتَرْكِهِ إِيَّاهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ[1]: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، وَقَالَ الشَّاعِرُ[2]:

* بَعِيْدُ المُراغم وَالمَذْهَبِ *

فَهـٰذَا أَصْلُ المُهَاجَرَةِ وَالهِجْرَةُ فِي لُغَةِ العَرَبِ.

وأَمَّا «**الشَّرِيْعَةُ**» فَاسْتُعْمِلَتْ فِيْهَا عَلَىٰ وُجُوْهٍ مُخْتَلِفَةٍ تُوْهِمُ التَّنَاقُصَ، كَنَحْوِ مَا رُوِيَ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**لاَ هِجْرَةَ وَلَـٰكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**». وَفِي حَدِيْثٍ آخَرَ: «**لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ**»، وَ«**لاتَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ مَا قُوْتِلَ الكُفَّارُ**»، فلأَجْلِ هـٰذَا وَجَرَّاءَهُ وَجَبَ تَبْيِيْنُ وَجْهِ الهِجْرَةِ المُسْتَعْمَلَةِ فِي الشَّرِيْعَةِ، وَهِيَ تَنْقَسِمُ خَمْسَةَ/ أَقْسَامٍ: ٨٣/ب

أَوَّلُهَا: الهِجْرَةُ الأُوْلَىٰ إِلَىٰ بِلاَدِ الحَبَشَةِ في صَدْرِ الإِسْلاَمِ قَبْلَ خُرُوْجِهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ.

والثَّانِيَةُ: مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ عِنْدَ اسْتِدْعَاءِ الأَنْصَارِ إِيَّاهُ، وَهِيَ الهِجْرَةُ المَذْكُوْرَةُ في حَدِيْثِ سَعْدٍ، وَكَانَتْ مُفْتَرَضَةً عَلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ، وَبِهَا جَرَىٰ التَّارِيْخُ

---

(١) سُوْرة النِّساء، الآية: ١٠٠.

(٢) هُوَ النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ، وَالبيتُ فِي ديوانِهِ (٣٣)، وَصَدْرُهُ:

* كَطَوْدٍ يُلاَذُ بِأَرْكَانِهِ *

وهو في تفسير القُرْطُبِيِّ (٥/ ٣٤٨)، وَفي الدِّيوان: «والمَهْرَبِ».

المُسْتَعْمَلُ فِي أَيَّامِ عُمَرَ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَـٰذَا، وَفِيْهَا قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**لاَ هِجْرَةَ وَلَـٰكِنْ جِهادٌ وَنِيَّةٌ**».

وَالهِجْرَةُ الثَّالِثَةُ: هِجْرَةُ المَعَاصِي، وَتَرْكُ مَا خَالَفَ الحَقَّ، دَاخِلٌ فِي هَـٰذِهِ الهِجْرَةِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ[1]: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾.

وَالهِجْرَةُ الرَّابِعَةُ: هِجْرَةُ الكَافِرِ مِنْ بَلَدِ الحَرْبِ إِذَا أَسْلَمَ، فَعَلَيْهِ الخُرُوْجَ إِلَىٰ بَلَدِ المُسْلِمِيْنَ فَرْضًا لاَزِمًا؛ لَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أَنَا بَرِيْءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مَعَ مُشْرِكٍ**».

وَالهِجْرَةُ الخَامِسَةُ: أَنْ يَنْفِرَ المُسْلِمُوْنَ لِقِتَالِ المُشْرِكِيْنَ؛ لأَنَّهُمْ يَهْجُرُوْنَ أَوْطَانَهُمْ لِلْجِهَادِ. وَمِنْهُ الحَدِيْثُ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ مَا قُوْتِلَ الكُفَّارُ**» وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «**إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**».

قَالَ الشَّيْخُ ـ وَفَّقَهُ اللهُ ـ: تَغَلْغَلَ القَوْلُ بِنَا وَطَاشَ سَهْمُ المَقَالِ بِمَا اعْتَرَضَ عَنِ الغَرَضِ، فَلْنَكْتَفِ وَلْنَرْجِعْ، وَلْنكرَّ إِلَىٰ مَا كُنَّا بِصَدَدِهِ وَنَقُوْلُ:

ـ **وَأَمَّا قَوْلُهُ**: «**لَـٰكِنَّ البَائِسَ سَعْدُ بنُ خَوْلَةَ**» فَكَلاَمٌ فِيْهِ حَذْفٌ وَاخْتِصَارٌ، وَيَلْزَمُ أَنْ يَكُوْنَ فِي الكَلاَمِ نَفْيٌ مُقَدَّرٌ؛ لأَنَّ «لَـٰكِنَّ» إِنَّمَا يَأْتِي[2] اسْتِدْرَاكًا بَعْدَ النَّفْيِ فِي قَوْلِ عَامَّةِ النَّحْوِيِّيْنَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّفْيُ مَلْفُوْظًا بِهِ كَانَ مُقَدَّرًا، وَلأَجْلِهِ قِيْلَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ[3]: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ إِنَّ فِي الكَلاَمِ نَفْيًا مُقَدَّرًا، كَأَنَّ المُشْرِكِيْنَ قَالُوا: مَانَشْهَدُ بِأَنَّهُ أُنْزِلَ إِلَيْكَ شَيْءٌ، فَقَالَ: لَـٰكِنَّ اللهَ

---

(١) سُوْرة المُدَّثر.

(٢) من هُنَا لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ (٢/ ٢٣٤).

(٣) سُورة النِّساء، الآية: ١٦٦، وَلم يذكرها الوقَّشِيِّ وَبد توجيه الآية يعود إلى كلام الوقَّشِيِّ من قوله: «إِنَّ سَعْدًا..».

يَشْهَدُ إِنْ كُنْتُم لاَ تَشْهَدُوْنَ أَنْتُمْ، فَوَجْهُ هَـٰذَا الحَدِيْثِ: أَنْ سَعْدًا لَمَّا خَافَ أَنْ يَمُوْتَ بِمَكَّةَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَحْزَنْ مِمَّا تَخَافُهُ، فَإِنَّكَ لاَ تَمُوْتُ بِمَكَّةَ، لـٰكِنَّ البَائِسَ سَعْدُ بنُ خَوْلَةَ هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْزَنَ لَهُ**»، فَفِي الكَلاَمِ حَذْفَانِ: حَذْفٌ في أَوَّلِهِ، وَحَذْفٌ في آخِرِهِ، وَلَوْ رُوِيَ: «سَعْدَ بنَ خَوْلَةَ» بالنَّصْبِ لَكَانَ جَائِزًا، وَيَكُوْنُ خَبَرُ «لـٰكِنَّ» مَحْذُوْفًا لِدَلاَلَةِ الكَلاَمِ عَلَيْهِ، وَالعَرَبُ تَحْذِفُ خَبَرَ «لـٰكِنَّ» تَارَةً إِذَا فُهِمَ المَعْنَىٰ كَقَوْلِ الفَرَزْدَقِ[1]:

* وَلـٰكِنَّ زِنْجِيًّا عَظِيْمَ المَشَافِرِ *

وَذَكَرَ سِيْبَوَيْهِ[2]: أَنَّ مِنَ العَرَبِ مَنْ يَنْصِبُ «زِنْجِيًّا» بـ«لـٰكِنَّ» وَيُضْمِرُ خَبَرَهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلـٰكِنَّ زِنْجِيًّا عَظِيْمَ المَشَافِرِ لاَ يَعْرِفُ قَرَابَتِي، وَذَكَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرْفَعُ فَيَقُوْلُ: وَلـٰكِنَّ زِنْجِيٌّ، وَيُضْمِرُ اسْمَ «لـٰكِنَّ» كَأَنَّهُ قَالَ: وَلـٰكِنَّكَ زِنْجِيٌّ. وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ بِأَخَوَاتِ «لـٰكِنَّ». وَمَجَازُ مَنْ رَوَىٰ «لـٰكِنَّ البَائِسُ

---

(١) ديوان الفَرَزْدَق (٤٨١) وصدره:

* فَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًّا عَرَفْتَ قَرَابَتِي *

وجاء فيه مُنْفَرِدًا، مَنْقُولاً من رواية الكتاب... وَهو من قَصِيْدَةٍ في هِجَاء أَيُّوب بن عِيْسَىٰ الضَّبِّيِّ، قَالَ البَغْدَادِيُّ في الخزانة (٤/ ٣٧٩): «واعْلَمْ أَنَّ قَافِيَةَ البَيْتِ اشْتُهِرَتْ كَذَا عِنْدَ النَّحويين، وَصَوَابه:

* وَلـٰكِنَّ زِنْجِيًّا غِلاَظًا مَشَافِرُهْ *

وأَوْرَدَ بَعْدَهُ عَدَدًا من الأَبْيَاتِ. وَذَكَرَ قِصَّةَ هَـٰذَا الشِّعْر مختصرةً، وَهي في الأَغاني (١١/ ٣٣٢) مُفَصَّلةً. وَالشَّاهد في كتاب سيبويه (١/ ٣٨٢)، وَشرح أَبياته لابن السِّيْرَافِي (١/ ٥٩٨)، وَالنُّكت عليه للأَعلم (٥١٤)، وَهو في مَجَالس ثعلبٍ (١٢٧)، وَجمهرة اللُّغة (١٣٢)، وَالأُصول (١/ ٢٤٧)، وَالمحتسب (٢/ ١٨٥)، وَالمُنصف (٣/ ١٢٩)... وَغيرها.

(٢) الكتاب (١/ ٣٨٢).

سَعْدُ» فَرَفَعَ سَعْدًا، أَنْ يَكُوْنَ التَّقْدِيْرُ: لَـٰكِنَّ البَائِسَ سَعْدٌ؛ لأَنَّهُ مَاتَ فِي الأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا. وَالبَائِسُ: الَّذِي يَتَبَيَّنُ عَلَيْهِ أَثَرَ البُؤْسِ مِنْ شِدَّةِ الفَقْرِ.

(أَمْرُ الحَامِلِ والمَرِيْضِ وَالَّذِي يَحْضُرُ القِتَالَ فِي أَمْوَالِهِمْ)

ـ قَوْلُهُ فِي الآية[1]: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يَعْنِي المَنِيَّ ﴿فَمَرَّتْ﴾: أَيْ: اسْتَمَرَّتْ بِذٰلِكَ الحَمْلِ الخَفِيْفِ[2] إِلَىٰ أَنْ ثَقُلَ. وَقِيْلَ: المَعْنَىٰ فَاسْتَمَرَّ بِهَا، فَهُوَ مِنَ المَقْلُوْبِ[2]. وَقِيْلَ: شَكَّتْ فِيْهِ لِخِفَّتِهِ[2]، وَهَـٰذَا عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ[3]: ﴿فَمَرَتْ﴾ بِالتَّخْفِيْفِ ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ أَيْ: غُلَامًا سَوِيًّا، وَقِيْلَ: بَشَرًا سَوِيًّا، وَالضَّمِيْرُ فِي ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ قِيْلَ: يَرْجِعُ إِلَىٰ النَّفْسِ وَزَوْجِهَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَقِيْلَ: رَاجِعٌ إِلَىٰ حَوَّاءَ وَآدَمَ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَمْ يَخُصَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ نَسْلَهُمَا، فالتَّثْنِيَةُ يُرَادُ بِهَا الإِنْسَانُ الذَّكَرُ والأُنْثَىٰ. وَقِيْلَ: المُرَادُ/ مِنْ أَوَّلِ القِصَّةِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾: آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَمَا بَعْدَهُ يُرَادُ بِهِ الذَّكَرُ وَالأُنْثَىٰ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ[4]: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ والانْتِقَالُ عَنْهُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: [5] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّـرًا ٨٤/أ

---

(١) سُورة الأعْرَافِ، الآية: ١٨٩.

(٢) تفسير القُرْطُبِيِّ (٧/ ٣٣٧).

(٣) هي قراءةُ ابن عَبَّاسٍ، ويَحْيَىٰ بنُ يَعْمُرَ، وأبي العالية... وغيرهم. يُراجع: المحرر الوجيز (٦/ ١٧٢)، وزاد المسير (٣/ ٣٠١)، وتفسير القُرطبيِّ (٧/ ٣٣٧)، والبحر المحيط (٤/ ٤٣٩)، والدُّرُّ المَصُوْن (٥/ ٥٣٣).

(٤) سُورة الأعْرَافِ، الآية: ١٩٠.

(٥) سُوْرَة الفتح.

وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾، ثُمَّ قَالَ:(١) ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ وَمِثْلُهُ كَثِيْرٌ.

(الوَصِيَّةُ لِلْوَارِثِ وَالحِيَازَة)

العَرَبُ تُسَمِّيْ المَالَ خَيْرًا؛ لِمَا فِيْهِ مِنَ الخَيْرِ لِمَنْ اسْتَعْمَلَهُ فِي وُجُوْهِهِ، وَمِنْهُ [قَوْلُهُ تَعَالَىٰ](٢): ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ(٣): ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أَيْ: لاَ يَفْتُرُ عَنْ طَلَبِ المَالِ وَمَا يُصْلِحُ دُنْيَاهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ(٤): ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ يَعْنِي الخَيْلَ، وَالعَرَبُ أَيْضًا تُسَمِّي الخَيْلَ: الخَيْرَ؛ لِمَا فِيْهَا مِنَ الخَيْرِ.

(مَا جَاءَ في المؤنَّث من الرِّجَالِ وَمَن أحق بالولد)

«هِيْتُ»: اسمُ المُؤَنَّثِ، كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا: الاسْتِدْعَاءُ، بِمَعْنَىٰ: هَلُمَّ(٥)، سُمِّيَ بِذٰلِكَ إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ يُسْتَدْعَىٰ للفُجُوْرِ، كَمَا فَعَلَتِ امْرَأَةِ العَزِيْزِ حِيْنَ اسْتَدْعَتْ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ نَفْسِهَا. يُقَالُ مِنْهُ: هَيَّتَ الرَّجُلُ تَهْيِيْتًا؛ إِذَا دُعِيَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، وَيُقَالُ: هِيْتَ وَهَيْتَ ـ بِكَسْرِ الهَاءِ وَفَتْحِهَا ـ.

ـ وَ«المُخَنَّثُ» [٥] هُوَ المُؤَنَّثُ مِنَ الرِّجَالِ، وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ فِيْهِ الفَاحِشَةُ،

---

(١) سُوْرَةَ الفَتْحِ.

(٢) سُوْرَةَ البَقَرَةِ، الآية: ١٨٠.

(٣) سُورة فصِّلَتْ، الآية: ٤٩.

(٤) سورة صَ، الآية: ٣٢.

(٥) النَّصُّ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣٩).

وَهُوَ مَأْخُوْذٌ مِنْ تَثْنِي الشَّيْءِ وَتَكَسُّرِهِ.

ـ وَ«**بَادِنَةُ بِنْتُ غَيْلاَنَ**» بالنُّوْنِ، كَذَا الرِّوَايَةُ المَشْهُوْرَةُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَهِيَ الضَّخْمَةُ البَدَنِ، إِشَارَةً إِلَىٰ سِمَنِهَا. وَرَوَاهُ قَوْمٌ: «**بَادِيَةُ**» باليَاءِ، كَأَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنْ بَدَا يَبْدُو؛ إِذَا ظَهَرَ، وَالمَشْهُوْرُ الأَوَّلُ[1]. وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتِ هَـٰذَا الحَدِيْثِ: «**فَإِنَّهَا هَيْفَاءُ، شَمُوْعٌ نَجْلاَءُ**» الهَيْفَاءُ: الضَّامِرَةُ الخِصْرَيْنِ[2]، وَالشَّمُوعُ: الكَثِيْرَةُ المِزَاحِ وَالدُّعَابَةِ، وَالمُشْمِعَةُ: الفُكَاهة. وَفِي «العَيْنِ»[3]: الشَّمُوْعُ: الجَارِيَةُ اللَّعُوْبُ؛ وَقَدْ شَمِعَتْ تَشْمَعُ. والنَّجْلاَءُ: العظِيْمَةُ شَقِّ العَيْنَيْنِ، وَمِنْهُ: طَعْنَةٌ نَجْلاَءُ، وَفِيْهَا: «**إِذَا تَكَلَّمَتْ تَغَنَّتْ**»، يُرِيْدُ: أَنَّ كَلاَمَهَا يُشْبِهُ الغِنَاءَ، لَحُسْنِ نَغْمَتِهَا، وَحَلاَوَةِ مَنْطِقِهَا[4].

---

(١) التَّعْلِيْقُ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأبي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٣٩)، وتحدثت في هامشه عن ضَبْطِ اسمها، هل هي «بادنة» أو «بادية» بما فيه كفايةٌ، فراجعه هناك إن شئتَ.

(٢) شرح هـٰذِهِ الألفاظ لأبي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ فِي التَّعْلِيْقُ عَلَىٰ المُوَطَّأِ (٢/ ٢٤٠).

(٣) العين (١/ ٢٦٧)، ومختصره (١/ ١١٢)، والنَّصُّ له. وفي «العين»: «الجَارِيَةُ الحَسَنَةُ الطَّيِّبَةُ النَّفْسِ، قَالَ الشَّمَّاخ [ديوانه: ٢٢٣]:

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ كَنَنْتُ نَفْسِي ... إِلَىٰ بَيْضَاءَ بِهْكَنَةٍ شَمُوْعِ

وَقَالَ:

بَكَيْـنَ وَأَبْكَيْنَنَـا سَـاعَـةً ... وَغَابَ الشِّمَاعُ فَمَا نَشْمَعُ

أَيْ: مَا نَمْرَحُ بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ». ورواية ديوان الشماخ: «لِبَّاتِ هَيْكَلَةٍ».

(٤) في تَفْسِيْرِ غَرِيْبِ المُوَطَّأِ لابن حَبِيْبٍ (٢/ ٦١): «قَالَ عَبْدُالمَلِكِ: وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «إِنْ تَكَلَّمَتْ تَغَنَّتْ» مِنَ الغُنَّة، وَلَيْسَ مِنَ الغِنَاءِ؛ لأَنَّ العَرَبَ تَقُوْلُ مِنَ الغُنَّةِ تَغَنَّىٰ الرَّجُلُ فِي كَلاَمِهِ وَتَغَنَّنَ كَمَا تَقُوْلُ مِنَ الظَّنِّ تَظَنَّىٰ وَتَظَنَّنَ، وهو التَّظْنِيْنُ والتَّظَنِّي، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا غُنَّةٌ فَتَعِيْبَهَا...» وعنه في التَّمهيد (٢٢/ ٢٧٧) (ط) المغرب.

ـ وَقَوْلُهُ: «**تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وتُدْبِرُ بِثَمَانٍ**» [٥]. يَقُوْلُ: إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ رَأَيْتَ في بَطْنِهَا أَرْبَعَ عُكَنٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْكَ رَأَيْتَ بِهَـٰذِهِ العُكَنِ الأَرْبَعِ ثَمَانِيَةَ أَطْرَافٍ لِكُلِّ عُكْنَةٍ طَرَفَانِ؛ لأَنَّ العُكَنَ أَحَاطَتْ بالجَنْبَيْنِ، حَتَّىٰ لَحِقَتْ بِالمَتْنِ مِنْ مُؤَخَّرِهَا، فالنَّاظِرُ إِلَيْهَا مِنْ أَمَامٍ يَرَىٰ أَرْبَعَةَ غُضُوْنٍ، وَالنَّاظِرُ إِلَيْهَا مِنْ خَلْفٍ يَرَىٰ ثَمَانِيَةً، واسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ[١] عَلَيْهِ بِقَوْلِ النَّابِغَةِ[٢] ـ فِي قَوَائِمِ نَاقَتِهِ ـ:

عَلَى قَصَبَاتٍ بَيْنَمَا هُنَّ أَرْبَعٌ ... أُنْخِنَ لِتَعْرِيْسٍ فَعُدْنَ ثَمَانِيَا

وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُوْلَ: ثَمَانِيَةٍ؛ لأَنَّ الطَّرَفَ مُذَكَّرٌ[٣]، وَلَـٰكِنَّهُ أَنَّثَ عَلَىٰ لَفْظِ الجَمْعِ، كَمَا يُقَالُ: كُتِبَ لِفُلَانٍ ثَلَاثُ سِجِلَّاتٍ، فَيُؤَنَّثُ وَالوَاحِدُ سِجْلٌ مُذَكَّرٌ؛ لأَنَّ الجَمْعَ مُؤَنَّثٌ، وَكَذٰلِكَ الأَطْرَافُ. أَبُوالوَلِيْدِ[٤]: أَرَادَ العُكَنَ وَاحِدَتُهَا عُكْنَةٌ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ، فَلِذٰلِكَ أَتَىٰ بِلَفْظِ العَدَدِ عَلَىٰ التَّأْنِيْثِ.

ـ وَمَنْ رَوَىٰ: «**لاَ يَدْخُلُ هَـٰذَا عَلَيْكُنَّ**»[٥] فَهُوَ بَيِّنٌ، وَمَنْ رَوَىٰ: «**عَلَيْكُمْ**»

---

(١) هُوَ ابنُ حَبِيْبٍ كَمَا في تَفْسِيْرِ غَرِيْبِ المُوَطَّأِ (٢/ ٥٥).

(٢) رَجَّحْتُ في هامش «تفسير غَرِيْبِ المُوَطَّأِ» أَنَّه النَّابِغَةُ الجعْدِيُّ، وليس في ديوانه، لكن في ديوانه قصيدة على وزنه وقافيته أوَّلُهَا:

أَلَمْ تَسْأَلِ الدَّارَ الغَدَاةَ مَتَىٰ هِيَا ... عَدَدْتُ لَهَا مِنَ السِّنِينَ ثَمَانِيَا

والبَيْتُ في «التَّمهيد» و«الاستذكار»: «عَلَىٰ هَضَبَاتٍ».

(٣) النَّصُّ فِي التَّعْلِيْقِ عَلَىٰ المُوَطَّأِ لأَبِي الوَلِيْدِ الوَقَّشِيِّ (٢/ ٢٤٠).

(٤) المنتقى (٦/ ١٨٣).

(٥) جَاءَ في هامش الأَصْلِ: «حاشية الأصل: قَالَ القَاضِي أَبُوالوَلِيْد هشام بن أحمد: قوله: «لاَ تُدخلن هَـٰؤلاَءِ عليكم» وإِنَّمَا خاطب نسائه خارج على وضعه لكونه العيال، وهو أن يخاطبن لمن أصله المذكورين، قال الله عز وجل في قصة موسى ٥: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ =

فَالوَجْهُ فِيْهِ: أَنْ يَكُوْنَ نَهْيُهُ عَامًّا لِنِسَائِهِ، ولِغَيْرِهِنَّ مِنْ كُلِّ مَنْ لَهُ أَهْلٌ ألاَّ يَدْخُلَ مُخَنَّثٌ عَلَىٰ أَهْلِهِ، فَلَمَّا اشْتَمَلَ نَهْيُهُ ﷺ عَلَى الرِّجَالِ والنِّسَاءِ غَلَّبَ المُذَكَّرَ عَلَىٰ المُؤَنَّثِ.

(العَيْبُ في السِّلْعَةِ وَضَمَانُهَا)

تَقْدِيْرُ التَّرْجَمَةِ: العَيْبُ مُحْدَثٌ بالسِّلْعَةِ/ بَعْدَ ابْتِيَاعِ المُبْتَاعِ لَها بَيْعًا فَاسِدًا يَجِبُ رَدُّهُ، وَضَمَانُ ذٰلِكَ العَيْبِ، وَمَا يَحْدُثُ فِيْهَا مِنْ نَقْصٍ وَهَلَاكٍ، وَهُوَ مِنَ المُشْتَرِي الَّذِي قَبَضَهَا، وَكَذٰلِكَ مَا يَحْدُثُ فِيْهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنَمَاءٍ فَكُلُّهُ للمُشْتَرِي. ٨٤/ب

(جَامِعُ القَضَاءِ وَكَرَاهِيَتُهُ)

قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «هَلُمَّ إِلَىٰ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ»: أَيْ المُطَهَّرَةُ[1]، والمَقَدَّسُ ـ فِي كَلَامِ العَرَبِ ـ: المُطَهَّرُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَوْضِعًا مِنَ الشَّامِ يُسَمَّىٰ القُدْسُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ مَسْجِد إِيْلِيَاء: البَيْتُ المُقَدَّسُ، أَيْ: المُطَهَّرُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ مُطَهَّرٌ مِمَّا كَانَ فِي غَيْرِهِ مِنَ المَوَاضِعِ، مِنَ الكُفْرِ، وَكَأَنَّ ذٰلِكَ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، فَلَزِمَهُ اسْمُ الوَصْفِ بِذٰلِكَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُوْنَ مَعْنَىٰ تَقْدِيْسِهَا وَتَطْهِيْرِهَا أَنَّ مَنْ فِيْهَا مُطَهَّرٌ مِنَ الذُّنُوْبِ والخَطَايَا، فَيَكُوْنُ المَعْنَىٰ المُقَدَّسَ

= ءَانَسْتُ نَارًا﴾ وإنما خاطب امرأة وحدها، وفي «الموطأ»: «لا يدخلَنَّ هـٰؤلاء عليكم...».

وجاء في حاشية الأصل: «حاشية الأصل: في «مُسْلِم»: «يدخلنَّ» إنَّما أنَّث فقال هَـٰذَا ولم يقل هَـٰذِهِ؟ وواحد الأطراف: طرف، وهو مذكّرٌ؛ لأنه لم يذكّرها، فلو ذكَّر الأطراف لم يجد بُدًّا من التَّذكيرِ، وهـٰذا كقولهم: هـٰذَا السنون سبع في ثمان، يُراد بها الأشعار، فلم يذكرها لمَّالم يأت لذكر الأشعار، والسَّبع إنَّما يقع على الأذرع فلذٰلِك أنَّث، والذِّراع مؤنثة».

(١) النَّصُّ كُلُّه لأبي الوَلِيْد البَاجِي في المُنْتَقَىٰ (٦/ ١٩٢).

أَهْلُهَا. وَيَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ هَـٰذَا التَّأْوِيْلِ قَوْلُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ: «**إِنَّ الأَرْضَ لاَ تُقَدِّسُ أَحَدًا**»، وَإِنَّمَا أَرَادَ تُطَهِّرُهُ مِنْ ذُنُوْبِهِ، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُهُ عَمَلُهُ، فَيَكُوْنُ عَلَىٰ هَـٰذَا التَّأْوِيْلِ: إِنَّمَا وَصَفَ أَهْلَ بَيْتِ المَقْدِسِ بِذٰلِكَ فِي وَقْتٍ عَمِلُوا فِيْهِ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَانَ كَثِيْرٌ مِنْهُم أَنْبِيَاءَ، وَسَائِرهُمْ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ، وَلَعَلَّهُ كَانَ ذٰلِكَ فِي وَقْتٍ أُمِرُوا كَمَا أُمِرَ المُسْلِمُوْنَ بِالهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، فَكَانَ سُكْنَاهَا فِي ذٰلِكَ الوَقْتِ يُقَدِّسُ أَهْلُهَا، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوْبِ.

وَ«**نِعِمَّا لَكَ**»: مُبَالَغَةٌ مِنْ «نَعِمَ» وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: «نُعْمَىٰ لَكَ» ـ بِضَمِّ النُّوْنِ وسُكُوْنِ العَيْنِ ـ وَمَعْنَاهُ: مَسَرَّةً لَكَ وَقُرَّةَ عَيْنٍ.

ـ وَقَوْلُهُ: «**إِنَّ الأُسَيْفِعَ، أُسَيْفِعَ جُهَيْنَةَ**» قِيْلَ[1]: إِنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلُ كَانَ اسْمُهُ الأُسَيْفِعَ، وَقَالَ ابنُ مَزَيِّنٍ عَنِ ابنِ وَهْبٍ، وَابْنِ نَافِعٍ: هُوَ لَقَبٌ لَزِمَهُ. وَقَالَ أَيْضًا عَنِ ابنِ وَهْبٍ: هُوَ تَصْغِيْرُ أَسْفَعٍ؛ وَهُوَ الضَّارِبُ إِلَىٰ السَّوَادِ، وَقَالَ: إِنَّهُ وُصِفَ بِذٰلِكَ لِلَوْنِهِ. وَقَالَ القُتَيْبِيُّ[2]: الأَسْفَعُ: الَّذِي أَصَابَ خَدَّهُ لَوْنٌ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ لَوْنِهِ مِنْ سَوَادٍ. وَقِيْلَ[3]: إِنَّهُ الَّذِيْ يَعْلُو وَجْهَهُ حُمْرَةٌ تَنْحُو إِلَىٰ السَّوَادِ.

ـ **وَقَوْلُهُ**: «**ادَّانَ مُعْرِضًا**». يُقَالُ: إِدَّانَ فَهُوَ مُدَّانٌ: إِذَا اشْتَرَىٰ بالدَّيْنِ، وَيُقَالُ: دَانَ وَادَّانَ وَاسْتَدَانَ[2]، وَإِذَا أَعْطَىٰ بالدَّيْنِ قِيْلَ: أَدَانَ. وأَمَّا المُعْرِضُ

---

(١) النَّصُّ لأبي الوَلِيْد البَاجِي في المُنْتَقَىٰ (٦/ ١٩٧).

(٢) في «المُنْتَقَىٰ»: «العُتبى» تحريف.

(٣) من هُنَا لأبي عمر بن عبدالبر في الاستذكار (٢٣/ ١٠٠). وأصله لابن حبيبٍ في تفسير غريب المُوَطَّأ (٢/ ٦٢)، والنَّصُّ كلُّه من أوَّله إلى آخره لأبي الوَلِيْد البَاجِيِّ في المُنْتَقَىٰ (٦/ ١٩٧).

فَقَالَ أَبُوعُبَيْدٍ[1]: هُوَ الَّذِيْ يَعْتَرِضُ النَّاسَ فَيَسْتَدِيْن[2] مِمَّن أَمْكَنَهُ. وَقَالَ شَمِرٌ: المُعْرِضُ ـ هَـٰهُنَا ـ بِمَعْنَىٰ المُعْتَرِضُ، قَالَ: وَمَن جَعَلَه بِمَعْنَىٰ المُمْكِن عَلَىٰ مَا فَسَّرَهُ أَبُوعُبَيْدٍ[3] فَهُوَ بَعِيْدٌ؛ لأنَّ مُعْرِضًا مَنْصُوْبٌ عَلَىٰ الحَالِ لِقَوْلِكَ: «إِدَّانَ»، فَإِذَا فُسِّرَ أَنَّهُ مَنْ يُمْكِنُهُ، فَالمُعْرِضِ هُوَ الَّذِي يَعرِضُ؛ لأنَّهُ هُوَ المُمكِنُ[4]. وَقَالَ أَبُوعُبَيْدٍ[5]: وَيُرْوَىٰ «مُعرِضٌ» بالرَّفْعِ. وَقَالَ ابنُ شُمَيْلٍ[6]: «إِدَّانَ مُعْرِضًا» مَعْنَاهُ يُعْرِضُ إِذَا قِيْلَ لَهُ لاَ تَسْتَدِنْ فَلاَ يَقْبَلُ. وَرَوَىٰ أَبُوحَاتِمٍ، عَنِ الأَصْمَعِيِّ[7] أَنَّهُ قَالَ: مَعْنَاهُ أَخَذَ الدَّيْنَ وَلَمْ يُبَالِ أَنْ لا يُؤَدِّيْهِ. وَقَالَ القُتَيْبِيُّ[8] أَيْ: اسْتَدَانَ مُعْرِضًا عَنِ الأَدَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَاتِمٍ. وَقَالَ ابنُ وَهْبٍ مَعْنَىٰ: «إِدَّانَ مُعْرِضًا»: أَيْ اعْتَرَفَ الدَّيْنَ مَالَهُ فَأَعْرَضَ بِأَمْوَالِ النَّاسِ مُسْتَهْلِكًا لَهَا مُتَهَاوِنًا[9].

---

(١) في «المُنْتَقَىٰ»: «أَبُوزَيْدٍ»، والنَّصُّ في غريب الحديث لأبي عَبيْد (٤/ ١٦٨)، والتَّصحيح منه. ويُراجع: تهذيب اللُّغة (٤/ ٤٦٠).

(٢) في الأصل، و«المُنْتَقَىٰ»: «فيشتري».

(٣) قول شَمِرٍ ساقط من «المُنْتَقَىٰ» المطبوع، ويظهرُ من النَّصِّ أنَّه موجودٌ في أصله، وقول شَمِرٍ في تهذيب اللُّغة للأزهري (٤/ ٤٦٠). وَشِمرٌ تَقَدَّم ذكره في الجزء الأول ص(٢٩٨).

(٤) في المُنْتَقَىٰ: «المتمكن».

(٥) مَازَالَ النَّقْلُ عن «المُنْتَقَىٰ» ويُراجع: غريبِ الحديثِ لأبي عُبَيْدٍ (٤/ ١٦٨).

(٦) قَوْلُهُ في تَهذيبِ اللُّغَةِ (١/ ٤٦١).

(٧) قَوْلُهُ في تَهذيبِ اللُّغَةِ أَيْضًا.

(٨) قَوْلُهُ في تَهذيبِ اللُّغَةِ أَيْضًا.

(٩) بعده في «المُنْتَقَىٰ»: «ورواه ابنُ مَزَيِّنٍ عَنْهُ وعن ابنِ نَافِعٍ».

ـ قَوْلُهُ: «فَأَصْبَحَ قَدْ رِيْنَ لَهُ». قَالَ الهَرَوِيُّ[1]: مَعْنَاهُ أَحَاطَ الدَّيْنُ بِمَالِهِ، رِيْنَ بِهِ، وَرِيْنَ عَلَيْهِ، وَرِيْمَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ، وَمَعْنَاهُ: مَاتَ. وَقَالَ أَبُوزَيْدٍ: رِيْنَ بالرَّجُلِ رَيْنًا: إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ لاَ يَسْتَطِيْعُ الخُرُوْجَ مِنْهُ، وَقَالَ ابنُ مُزَيِّنٍ: وَقَالَ ابنُ نَافِعٍ، وابنُ وَهْبٍ: قَدْ شُهِرَ بِهِ، قَالَ يَحْيَىٰ؟ وَقَالَ غَيْرُهُ: قَدْ أُحِيْطَ بِهِ، وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ[2]: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ يَقُوْلُ: طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوْبِهِمْ، وَأَحَاطَ بِهَا سُوْءُ أَعْمَالِهِمْ. وَقَالَ العَتَّابِي[3] [عَنِ ابْنِ][4] الأَعْرَابِيِّ: رِيْنَ بِهِ: انْقَطَعَ، وَقَالَ السُّلَمِيُّ: رِيْنَ بِهِ: تَحَيَّرَ، وَقَالَ/ سَابِقٌ البَرْبَرِيُّ[5]: ٨٥/أ

وَتَرْكُ الهَوَىٰ المُرِّيِّ فَاعلَمْ سَعَادَةٌ وَطَاعَتُهُ رَيْنٌ عَلَىٰ القَلْبِ رَائِنُ

وَهَـٰذِهِ المَعَانِي مُتَقَارِبَةٌ.

---

(١) النَّصُّ أَيْضًا لأبي الوَلِيْدِ البَاجِيِّ في المُنْتَقَىٰ (٦/ ١٩٧)، ويُراجع: الغريبين (٣/ ٨٠٧)، وَنَقَلَ عن أَبي زَيْدٍ.

(٢) سورة المُطففين، الآية: ١٤.

(٣) في الأصل: «القباني». ولم أَدْرِ من المَقْصُود بالعَتَّابِيِّ وَلاَ السُّلَمِيِّ.

(٤) ساقط من الأصل، ومن «المُنْتَقَىٰ»، والتَّصحيح من تهذيب اللُّغة (١٥/ ٢٢٥).

(٥) هو سابقُ بنُ عَبدِالله، أَبُوسَعِيْدٍ، وأَبُوأُمَيَّة أيضًا البَرْبَرِيُّ، وَهَـٰذِهِ لَقَبٌ له لا نِسْبَةٌ إلى البَرْبَرِ، شَاعرٌ أُمَوِيٌّ، له أشعارٌ في الزُّهْدِ، وَفَدَ عَلَىٰ عُمَرَ بنِ عَبْدِالعَزِيْزِ، وله مَعَهُ حِكَايَاتٌ لَطِيْفَةٌ. يُراجع: خزانة الأدب (٨/ ٥٦٦، ٩/ ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣)، وله أخبارٌ وأشعارٌ، قال ابنُ خَيْرٍ الإشبيليُّ في فهرست ما رواه عن شيوخه (٤٠٦): «أخبارُ سابقٍ البَرْبَرِيِّ وأشعارُهُ» حدَّثني به القاضي أبوبكر بنُ العَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ... » وجمع أشعاره الدُّكتور بدر أحمد ضيف ونشره في دار المعرفة بالإسكندرية سنة (١٩٩٨م) يُراجع البيت هناك (٢٥)، وفيه: «وهجر الهَوَىٰ» و«طُوْلِ الهَوَىٰ رَيْنٌ» وأنشده أبوالوليد الباجي في «المنتقىٰ».

ـ **قَوْلُهُ**: «**وَآخِرَهُ حَرَبٌ**» ـ بِتَحْرِيْكِ الرَّاءِ ـ. الحَرَبُ: السَّلَبُ، وَرَجُلٌ مَحْرُوْبٌ، وَحَرِيْبٌ بِمَعْنَىٰ مَسْلُوْبٌ[1]، يُرِيْدُ: أَنَّ آخِرَهُ أَنْ يُسْلَبَ مَالُهُ، وَمَا يَضِنُّ بِهِ مِنْ عَقَارٍ وَحَيَوَانٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ، قَالَ أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ[2] في الحَرِيْبِ:

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الحَرِيْبُ بِدَارِهِمْ رَدُّوْهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ

(مَا جَاءَ فِيْمَا أَفْسَدَ العَبِيْدُ أَوْ جَرَحُوا)

ـ «**حَرِيْسَةٌ**»: فَعِيْلَةٌ بِمَعْنَىٰ مَفْعُوْلَةٍ، وَبَعْضُهُم يَجْعَلُهَا السَّرِقَةَ نَفْسَهَا. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ[3]: هِيَ الَّتِي تُحرَسُ، أَيْ: تُسْرَقُ.

(مَا يَجُوْزُ مِنَ النَّحْلِ)

ـ **قَوْلُهُ**: «**مَا يَجُوْزُ مِنَ النَّحْلِ**» وَيُرْوَىٰ: «مِنَ النِّحَلِ»: جَمْعُ نِحْلَةٍ. يُقَالُ: نَحَلْتُهُ أَنْحَلُهُ نُحْلَهُ نُحْلاً، وَمِنَ القَوْلِ الثَّانِي: نَحْلاً ـ بالفَتْحِ ـ، وَالنَّحْلُ وَالنِّحْلَةُ: العَطَاءُ بِلاَ اسْتِعَاضَةٍ.

---

(١) الاستذكار (٢٣/ ١٠١).

(٢) ديوانه (٥٠٠) «السَّطلي» وقبله:

قَوْمِي ثَقِيْفُ وَإِنْ سَأَلْتَ فَأَسْرَتِي وَبِهِمْ أُدَافِعُ رُكْنَ مَنْ عَادَانِي

وفي الاستذكار (٢٣/ ١٠١): «رَدُّوْهُ رَدَّ صَوَاهِلٍ ويناقٍ» وهو بلا شكَّ تحريفٌ، يُصححه ما وَرَدَ في «بَهْجَةِ المَجَالِسِ» للمُؤَلِّفِ نَفسِهِ.

(٣) كَذَا في الأصل، ولعلَّه: «أبو عُبَيْدٍ» يُراجع: غريب الحديث (٤/ ٤٨٨).